جسدنة العقل في الفكر اللّساني الغربي

م.م. علي عبد الكاظم حميد
مديرية تربية ميسان، وزارة التربية، ميسان، العراق
Ali11w11ali@gmail.com

الملخص

تمثل جسدنةُ العقل أو المعرفة المجسدة تحولًا فكريًا وفلسفيًا في تأثيرها على الفكرِ اللّساني الغربي الذي كان سائدًا آنذاك لا سيما تلك اللّسانيات التي أدخلت علوماً غيرَ لغوية في دراساتها وفي مباحثها وهو ما يترجم بمصطلح (اللّسانيات الادراكية). فالتحول من التجريد إلى التجسيد ضرورةٌ علميةٌ في تلك العلوم وهي عند بعضهم ركنٌ جوهريٌ في فهم اللّغة وما يحيط بها من معارفٍ حسيةٍ أو خارجيةٍ.

وإن كان الفهمُ السائدُ في جسدنة العقل متعلقًا في تطور اللّسانيات المتجهة نحو العلوم العصبية، التي تعد نقضًا للسانيات القائمةِ على الفهم المجرد للغة إلّا إنّنا نجد ذلك المصطلح موجودًا في اللسانيات البنيوية من دون أن تصرّح به لاسيما فيما يتعلق بالفلسفات التي اتخذت التماهي والتفاعل في فهم اللّغة والعقل من أجل أن تكون دراستهم علميةً.

الكلمات المفتاحية: جسدنة العقل، دي سوسير، اللسانيات الوصفية الامريكية (سابير، بلومفيلد)

ALI ABDU AL KADHIM HAMEED
Ministry of Education
Misan Education Directorate
Ali11w11ali@gmail.com

ASBSTRACT:
The body of mind or embodied knowledge represents an intellectual and philosophical shift in its influence on Western linguistics then prevalent, particularly those linguistics that introduced non-linguistics into their studies and research (cognitive linguistics). The shift from abstraction to embodiment is a scientific necessity in this science, and for some it is fundamental to the understanding of language and the surrounding sensory or external knowledge
Although the prevailing understanding of the body of the mind is related to the development of linguistics oriented toward neuroscience, which is in contrast to linguistics based on the abstract understanding of language, we find that term found in structural linguistics without pronounting it, particularly in relation to philosophies that take for identification and interaction in understanding
Keywords
:Body of Mind, De Sausser, American Descriptive Linguistics Sapir, Bloomfield

المقدمة

من يطّلعُ على التراث الفكري واللّساني لجمعٍ من المفكرين الغربيين أو فلاسفة الغرب لا يبدي استغرابًا من سماع مصطلح (جسدنة العقل) فهذا المصطلح تجذرٌ فكري عميقٌ في التراث الفلسفي وفلسفة العلم، وهو كذلك

يخضعُ لمنهجِ العلم الذي اتخذه علماءُ الغرب من أجل بناء فرضيات وانساق لعلومهم جميعًا.

وربما ما يهوّن الامر اتخاذهم التجربة منهجاً في بناء المعرفة الانسانية والتي ألقتْ بظلالها على الفكر اللّساني الغربي لا سيما بعضهم اتخذ فلسفة العلم سبيلًا لفهم وبناء نسقٍ لساني متميز، وهذا ما فعله سوسير خاصةً وأحدث بذلك قطيعةً معرفية مع القرن التاسع عشر وهذه القطيعة تمثلت بتطور اللّسانيات والنهوض بها من الواقع الخارجي إلى الدماغ/ الذهن ومن الدماغ إلى الواقع، وهذا النهوض يمّثلُ مناهجَ مختلفةً في علم اللسانيات ومدارس اختلفت في فهمها للغة.

تمثل جسدنةُ العقل أو المعرفة المجسدة تحولًا فكريًا وفلسفيًا في تأثيرها على الفكرِ اللّساني الغربي الذي كان سائدًا آنذاك لا سيما تلك اللّسانيات التي أدخلت علوماً غيرَ لغوية في دراساتها وفي مباحثها وهو ما يترجم بمصطلح (اللّسانيات الادراكية).

فالتحول من التجريد إلى التجسيد ضرورةٌ علميةٌ في تلك العلوم وهي عند بعضهم ركنٌ جوهريٌ في فهم اللّغة وما يحيط بها من معارفٍ حسيةٍ أو خارجيةٍ.

وإن كان الفهمُ السائدُ في جسدنة العقل متعلقًا في تطور اللّسانيات المتجهة نحو العلوم العصبية، التي تعد نقضاً للسانيات القائمةِ على الفهم المجرد للغة إلّا إنّنا نجد ذلك المصطلح موجوداً في اللسانيات البنيوية من دون أن تصرّح به لاسيما فيما يتعلق بالفلسفات التي اتخذت التماهي والتفاعل في فهم اللّغة والعقل من أجل أن تكون دراستهم علميةً.

ولا يعْنى هذا البحث بطبيعة الكلام ذاته بوصفه تعبيرات وإنّما مهمة البحث الكشف المتمثل بفهم علماء اللّسانيات للغة أو قل الكشف عن المعرفة اللّسانية التي تمثّلها اللسانيون البنيويون، وكذلك معرفة تمثل تلك المعرفة في الدماغ وتجسيد العقل مسايرةً لطبيعة العلم وتقدمه في الإيمان بالتجربة ومادية المعرفة ونحن نعرفُ أنّ جسدنة العقل في المناهج اللّسانية ما بعد البنيوية كان واضحًا ومعبرًا عنه بالدماغ في خطوة تتمثل بالتفاعل بين المعرفة اللّغوية والدماغ لا سيما

بعد الكشف عن مناطق انتاج اللغة. أمّا البنيوية فلم يسلّط عليه الضوء في ما يتعلقُ بجسدنة العقل وأثر ذلك في انتاج المعرفة اللغوية في كليتها وشمولها.

لذلك أصبحت دراسة اللغةُ دراسةً مجردةً تنطلق من السمع إلى الذهن ومن الذهن إلى السمع في دورةٍ معرفيةٍ اصطبغت بها الدراسات اللّسانية وحينئذٍ أدخلت مفاهيم منطقية وفلسفية (الدماغ/ الذهن).

واضافة مقولة (العقل) وتجسيده إلى اللّسانيات الغربية وذلك لمعرفة التجذر الفلسفي والمعرفي في بناء نظرياتهم فهي لم تكن لغوية فحسب بل حتى تكون علمية أخذوا جانبا مهماً من الفلسفة ونظرية المعرفة

التمهيد: مفهوم جسدنة العقل

لم تكن اللّسانيات بمنأى عن النّظريات الفلسفية والمنهجيات العلمية، فقد أخذت منها ما يساعد على عدّ اللّسانيات علماً مستقلاً منذُ تأثر سوسير بالعلوم الأخرى لا سيما الاجتماعية والنفسية منها وصولًا إلى بلومفيلد الذي تأثر بالمنهج السلوكي في تفسير اللّغة وعدها سلوكاً كغيره من السلوكيات التي يقوم بها الإنسان.

فقد تأثرعلماء اللّسانيات بالمحيط العلمي والتوجه الجديد في العلم فاستقطبه هؤلاء العلماءُ كي يفيدوا منه في علاج مشكلات المنهج اللّغوي السائد في القرن التاسع عشر، لذلك انبثقت البنيوية اللّسانية المتأثرة بالتحول الجديد تجاه العلم ومنهجه القائم على الأساس التجريبي ومَنْ ثَمّ تطوير علم اللغويات لمنهج علمي تجريبي (حمودة، 1997،216) كي لا تكون بمنأى عن ذلك التحول الفلسفي.

وبهذا المنعطف اتخذت اللّسانيات منهجاً علمياً مستقلًا ناظرة بذلك إلى ما له علاقة باللّغة فوجدتْ أنّ العقل/ الدماغ هو الأقرب ابستيميًا لمناهجها وفهمها، ألّا أنّ العقل في الفكر الفلسفي الغربي لا يؤمن بالميتافيزيقيا والرغبات وغيرها فهو تجريبي وهذا يعني أنّه مادي لذلك ظهرت مقولات متعددةٌ ومختلفةٌ حول

طبيعة العقل وعلاقته بالجسم، فهل العقل جوهريٌ مستقلٌ عن الجسم؟ أو هناك تفاعل بينهما.

وكل ذلك الاختلافُ نابعٌ من مناهج الفلسفة المتخذةِ من قبل علماء الفلسفة فالذي آمن بالميتافيزيقيا فهو ينظر إلى طبيعة العقل الجوهريةِ والمستقلة، أمّا الذي لا يؤمن بهذا الاتجاه فهو ينظر إلى العقل بطريق الجسم أو بطريق الاعصاب (الدماغ).

لذلك ظهر مصطلح (The embodied mind) وترجم بـ(جسدنة العقل)،ويتمحور مفهوم جسدنة العقل حول فكرة رئيسة هي التأكيد على ((أهمية التجربة البشرية ومحورية جسد الإنسان والبنية الإدراكية والتنظيم الإدراكي البشري المحدد كلها تدعم طبيعة تجربتنا وفقا لوجهة النظر التجريبية، العقل البشري - وبالتالي اللغة - لا يمكن تحقيقهما بمعزل عن الجسدنة البشرية)) (Evans et al., 2018)، 44)

والقول بجسدنة العقل (المعرفة المجسدة) ما هو إلّا نقضٌ معرفة اللّغوية المتأتية من علاقة المعنى بالأشياء أو الكلمات وعلاقتها بالأشياء الخارجية وكذلك نقض فهم اللغة أو علم اللّسانيات المتكئة على الفهم المجرد والقول بالاعتباطية.

وجد العلماء أنّ الفهم هذا لا يلبي أو يفسر لنا حقيقة اللغة عند تلك المنهجيات فهي مجردة لا صلة لها بالواقع، لذلك ظهرت نظريات أخرى تقتربُ أو بداياتٌ لنظرية جسدنة العقل سواء كان على مستوى الفلسفة أم على مستوى اللّسانيات.

ولعل أولاها ما قاله تشومسكي بأنّ اللّغة قدرة بيولوجية مزود بها الطفل (تشومسكي.، 1990،62)، وهذا القول فتح المجال أمام الباحثين لفهمٍ أوسعٍ وأشمل للغة وعلاقتها بالعقل أو الدماغ، لكن ينبغي الاشارة إلى أنّ مصطلح (جسدنة العقل) كان بداياته عندما فهموا العقل فهماً مادياً وأنّ الدماغ هو العضو المسيطرُ على مشاعرنا وحركاتنا ويتفاعل مع الواقع الخارجي.

ولعل هذا القولُ هو بدايات ظهور ذلك المصطلح أو القول بـ(العقل المجسد) في الفكر اللّساني ولعل تشومسكي كان له السبق في ذلك عندما رأى أنّ ((الدماغ أو بعض عناصره يتدخلُ بشكلٍ مهم جداً في الظواهر اللّغوية والظواهر الذهنية الأخرى، فيمكن أن نستخدمَ مصطلح الذهن - بصورةٍ تقريبيةٍ لكن واضحة - في كلامنا عن الدماغ..)) (نعوم تشومسكي، 216،2015).

وعندما نقول تشومسكي له السبق في ظهور بدايات مصطلح (جسدنة العقل) هذا على مستوى اللّسانيات ما بعد البنيوية، إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّه كان مخترعاً لهذا المصطلح بل أخذه من الفلاسفة واختلافهم فيما يتعلق بثنائية الجسد - العقل لا سيما من قال بأنّهما ((ليسا كيانين أو عمليتين منفصلتين ومتميزتين من الناحية الوجودية، بل هما جوانب وأبعاد تجريدية لعمليةٍ تفاعليةٍ..)) (Johnson, 2007، 186)

ومن جهة أخرى فإنّ مقولة تجسيد المعرفة إذا فُهِمت من وجهة نظر فلسفة اللغة فهي نقض أو ثورة على التصور الفلسفي اللغوي القائم على اساس مفهوم الصدق وشروطه، تلك النّظرية التي قال بها جمعٌ من فلاسفة اللغة لا سيما (راسل) وغيره من الفلاسفة والتي تؤكد ((على نوعٍ من العلاقة تماثل بين حدود أو العلاقات الفكرية ولا سيما الخارجية والمجموعات من الأشياء)) (هيلاري بتنام، 2012،91)

وتصورهم هذا قائمٌ على أنّ الصدقَ أو نظرية الصدق مستقلةٌ عن التفاعلات الجسدية فهي بشكل موجز (لفظيةٌ)، فمتى كانت العبارةُ اللفظيةُ تتصفُ بأنّها حقيقة (طبعاً بالمعنى النسبي للحقيقة) فهي صادقةٌ، أمّا في نظرية العقل المجسّد فيُنظَر إلى صدق القضية من عدمها ليس عن طريق التلفظات ذوات العلاقة الخارجة، إنّما هناك معايير تجعل من تلك القضية صادقة أم لا ومن أهمّ تلك المعايير:

1- التنظيم الذهني البشري.

2- النسق التصوري.

3- الاستعارة (جورج لا يكوف جونسون، 2016، 12)

والنسق التصوري بشكل عام ربما يعتمد على أشياء أخرى وهي (النسق البصري) و(النسق الحركي) و(الآليات العصبية) (جورج لا يكوف جونسون، 2016،38) وهذه المعايير تؤدي بشكل تلقائي إلى تصور العقل المجسد.

ولعل صدق القضية في نظرية تجسيد (العقل) متى ما أصبحت تلك القضية ضمن الواقع الذهني المتجسّد فإنّها تعد صادقة، والصدق هنا ليس بمعناه المتعارف.

وقبل أن تكون نظرية التجسيد لها معايير أو أن تتطور وتصل إلى الفهم المتعارف في الفلسفات واللّسانيات فإنّ لها تجذري ومراحل تختلف بمعناها المعرفي، فالإدراك قبل ذلك ربما يفهم بأنّه آلية ذهنية تحدث عند الإنسان لكن اختلف حول طبيعته العلماء هل هو حسي أو مجرد؟

لذلك فرضية (المعطى الحسي) قد تكون البذرة الأولى لفكرة تجسّد العقل، فالإنسان لا يتفاعل بشكلٍ مادي مع حواسه أي التمثيل الذهني بوساطة الحواس لا يحدث بشكل مباشر أو مادي وإلّا أصبح التمثيل انعكاسي ليس إلّا.

فالمعرفة المتجسدة تحدث وفق تلك الفرضيةِ ما تعطيه الحواس وما تنتجه مع العقل وبالنتيجة تصبح تلك الاضافة الإسمية مادية لذلك أكّد أوستن على إنّنا ((لا ندرك أو نتحسس في شكل مباشر - الموجودات المادية (أو الأشياء المادية)، إنّما معطيات الحواس وحسب..)) (أوستن، 2020، 22)

لذلك يتمحور مفهوم الجسدنة حول نسقين مهمين وهما (النسق الحسي) و(النسق الحركي) وبوساطتهما نستطيع أن نفهم تصوراتنا بشكل جيد، والنتيجة من ذلك أنّ الذهن لا يعد مستقلاً أو يعمل بشكل مستقلٍ فهو لا وجود له من دون الانساق المذكورة التي تتفاعل معه كي يُعْرف.

فكل النظريات التي جاءت بعد اللّسانيات البنيوية أصبح المفهوم مستقراً عندها في تجسيد العقل وبناء تصوراتها وفق ذلك ويمكن تمثيل ذلك بشكل أدق فب اللّسانيات المعرفية او الادراكية.

ويمكن القول أنّ تجسيد الذهن في مفهومه يؤكد على أنه ((لا يمكن لتصوراتنا أن تكون انعكاساً مباشراً لواقع خارجي موضوعي متحرر من الذهن وغير متصل به؛ لأنّ نسقنا الحسي والحركي يلعب دوراً حاسماً في تشكيل هذه التصورات وصياغتها))(جورج لا يكوف جونسون، 2016، 88).

ولا يعني مجرد تفاعل العقل مع العالم الخارجي تتحقق المعرفة المجسدة أي تفاعل العقل مع الأنساق المادية إذا صح التعبير لا يعني المعرفة تحققت، ولا يكون للمنطق والفكر دخل في ايجاد تلك المعرفة لذلك نجد راسل أدخل مفهوم (البنى المنطقية) في تجسيد المعرفة وهذه هي أيضا من المعايير المهمة في جسدنة العقل وفق معطيات الحس.

اللّسانيات البنيوية وجسدنة العقل

لم تعد اللّسانيات الغربية (البنيوية الاوربية) مكتفية بالجانب الكلامي أو اللفظي بعد القرن التاسع عشر الذي أغْرِق بمسائل الكلام وتحليله تركيباً ودلالةً، إلّا أنّ الثورة اللّسانية التي فتح بابها سوسير أصبح الكلامُ ليس من ضمن النظرية اللّسانية التي توصف بأنّها كلية تشمل اللّغات جميعاً.

لذلك أصبحت دراسة اللغة دراسةً مجردةً تنطلقُ من السمع إلى الذهن ومن الذهن إلى السمع في دورةٍ معرفية اصطبغت بها الدراسات اللّسانية وحينئذ ادخلت مفاهيم منطقية وفلسفية العقل أقرب لها.

ونجد اشارات مهمة عند سوسير بشأنِ الذهن ابتداءً من العلامة اللغوية ورسمه المشهور الذي ذكره في كتابه(محاضرات في اللّسانيات العامة)

وإذا كانت العناصرُ اللّغوية قائمةً على مبدأ (الخلاف) أو الاختلاف فإنّ ذلك يعني استبعاد الذهن في انتاج وتركيب تلك العناصر، وعلى هذا الاساس طرح

سوسر مبدأ مهماً في تكوين العلامة اللغوية وهو مبدأ(السمع) فعن طريق السمع استطاع سوسير تفسير اللغة وعناصرها ونتج عن ذلك مبدأ الاختلاف، إذ هذا العنصر متوقفٌ على السمع وكأنّما نستطيعُ أن نتخيل جسدنة العقل عند سوسير بما يلي:

1- مبدأ السمع (الوضوح السمعي (الصورة الصوتية)

2- مبدأ الاختلاف إذا كان الاختلاف نابعاً من حيث التلازم أو السببية فهو ذهني.

ولكن يمكن طرح اشكالية معينة وهي، هل الاختلاف الذي طرحه سوسير ذاتي النشأة في اللغة؟ أي هل اللغة في ذاتها قائمة على أساس الاختلاف؟

إذا كان الاختلاف ذاتي النشأة فلامعنى لجسدنة العقل على الرغم من استبعاد العقل في تكوين الاختلاف، أمّا إذا نظرنا إلى الاختلاف بين عناصر اللغة ناشئاً عن عناصر اخرى كوّنت الاختلاف وأهم تلك العناصر (مبدا السمع (ومبدأ النطق) فيكون هناك تفاعل بينهما في لحظة نفسية مقترنة بلحظة فكرية (ذهنية) فهذا ينتجُ جسدنة العقل ولكن بتصورٍ آخر غير التصور الشائع في اللّسانيات الادراكية.

فتصور جسدنة العقل عند سوسير لم تكن بالوضوح الذي في الدراسات المتقدمة كما هي عليه في اللّسانيات الادراكية، فتصورها (الجسدنة)عند سوسير تكمن في جانبين:

1- من جانب تأثره بالعلوم الأخرى الطبيعية (الوضعية المنطقية) التي تؤمن بمادية الأشياء وكذلك العقل، ولا تؤمن باستقلال العقل بوصفه وجوداً مستقلاً عن الأشياء وهذا ما ذكره (جوناثان كلر) حينما أكد على أنّه لو ((كانت اللغة مجموعة من الأسماء الموضوعة للتصورات الذهنية القائمة على نحو مستقل إذن لوجب أن تظل هذه التصورات الذهنية ثابتة على مدى التطور التأريخي للغة)) (جوناثان كلر، 2000، 76).

وهذا يعني أنّ التصورات الذهنية ليست مستقلةً عن الأشياء الاخرى؛ لأنّ القول بذلك يؤدي إلى خللٍ منهجي في دراسة اللّسانيات بحسب تصور سوسير ولذلك بسبب قوله بالمنهج الآني وليس الثابت في الأزمنة كلها، وإن كان الثبات في منهج سوسير ثباتاً آنياً أيضاً فهو يدرس اللغة في لحظةٍ معينةٍ في ثبات معين.

فاللغةُ ليست هي الأشياء وكذلك الأشياء ليست هي اللغة، أنّما عملها (اللغة) تفاعلي أو بشكلٍ توقفي احداهما متوقف على الآخر، وادراك الأشياء لا يتمُّ عبر وسيط وهو اللغة إنّما يتمُّ عبر وسيط بين اللغة والأشياء وهي الأدوات غير اللغوية كأن تكون سايكلوجية أو فسيلوجية أو بيولوجية، فهذه العناصر مهمةٌ في عمل اللغة وتفاعلها بشكل كلي ينتج ما يسمى(تجسيد اللغة) أو المعرفة لذلك ارتكزت((لسانيات سوسير على علم نفس حدسي يتعين على العلاقات الداخلية للغة أن تكتشف فيه من خلال الاستبطان)) (كلارك، 2015، 122).

وهذا الجانب يؤكد تأثر لسانيات سوسير بعلم النفس الذي لا يرى استقلالاً للعقل أو الفكر بل يرى أنّ ((الوقائع الذهنية ليست إلاّ نتائج طارئةً للسياقات البدنية...)) (تشارلز فيرست، 1987،20)، ففكرة التماهي والتفاعل بين العقل والحواس الأخرى تكاد تكون من مسلّمات الفكر الغربي القديم وصولاً إلى فكره الحديث وهذا الأمر لا مناص منه لمن أراد أن تكون فكرته أو نظريته علميةً أو وفق النسق والسياقات العلمية، ولا بد أن يؤمن بقضية التماهي والتفاعل بين ما يصدره العقلُ وفق المرتكزات الجسدية.

وقد لا تكون جسدنةُ العقل بالمفهوم الذي نؤمن به نحن بل ما يراه الفكر اللّساني الغربي الذي هو تبعٌ للفكر الفلسفي والعلمي السائد آنذاك قضية لا تؤثر في انتاج المعرفة بشكل عام والمعرفة اللغوية بشكل خاص، لذلك لم يركز سوسير على هذا المبدأ بشكل مباشر إنّما يُفْهم ما هو تأثربه من علوم أخرى كعلم الاجتماع مثلاً الذي هو الآخر لا يؤمن باستقلالية العقل فضلاً عن وجوده وكينونته لكنه يؤمن بالظاهرة التي تحكم العلم في نمو المعرفة الاجتماعية

واللغوية، فالظاهرة الاجتماعية واللغوية هي المشترك بين سوسير ودوركهايم فكلاهما عدّ هذين العلمين بالأشياء والشيء عندهم ما ((انتظم كل موضوعات المعرفة التي لا يمكن ادراكها بالنشاط العقلي الداخلي ولكن بما تقتضيه من الخبرة والملاحظة والتجربة..)) (عبده الراجحي، 1979، 26).

وقد لا نكون في غرابة في تمييزنا بين العلم وموضوعه، فالعلم عادة ما يكون مجرداً صورياً في حين موضوع العلم لا يتميّز بهذه الميزة وإن اشترك في سمة معينةٍ معه، لهذا فإنّنا نجد أنّ سوسير خلط بين موضوع علم اللغة وعلم اللغة نفسه حين عدّ علم اللغة موضوعاً مجرداً، وأنّ وجهة النظر هي التي تحدد الموضوع وعادة ما تكون وجهة النظر مختلفةً متباينةً بين الأشخاص أو قل بين العلماء وتخضع لمبدأ الحواس والمعطى الحسي له دخلٌ في انتاج الموضوع من جهة كونه وجهة نظرٍ في حين العلم ذاته قائم على التّجرد.

ولهذا نحن نعتقد وفق هذا التمييز أنّ سوسير خلط بينهما وهذا ما نتج عنه اضطراب في وجهة نظره لا سيما فيما يتعلق في العلامة اللغوية، وكذلك فيما يتعلق بـ(الصورة الصوتية) حينما عدّها لحظة نفسية لها انطباع نفسي من خلال الحواس، في حين عدّ علم اللغة او اللغة نظاماً محايثاً يقوم بعزل ((اللغة عن الاعتبارات السايكولوجية والاجتماعية والفسيولوجية...)) (كلارك، 2015،155).

والمحايثة عنصرٌ ومبدأ أساسي في علم اللغة وليس في موضوع علم اللغة فعند النظر في موضوع علم اللغة حينئذ تأتي الاعتبارات المذكورة آنفاً في الموضوع وهذا ما يستدعي التجسيد، وهذه الاعتبارات تتأتّى بوساطة المعطى الحسي الذي هو يوضح طريقة الادراك الحسي في تجسيد المعرفة اللغوية. وإذا ما عرفنا هذا التمييز فإنّ تجسيد المعرفة أو قل (جسدنة العقل) تتعلق بالموضوع لا في علم اللغة نفسه وإن كان هذا الامر غريباً إلّا أنه ممكن الحصول.

ولذلك المبادئ الاساسية في النظرية اللّسانية (التجرد) (الشكل) (القيمة) (المحايثة) تتعلق بعلم اللغة ذاته لا موضوعه، ومن هنا فالتمييز بين الكلام

واللسان هو تمييز بين علم اللغة وموضوعه فالأسماء والأشياء والتسميات الموضوعة للتصورات الذهنية تمثل موضوع علم اللغة، وهذا هو الخطأ الذي وقع به سوسير حينما لم يقم تمييزاً بين موضوع علم اللغة والعلم نفسه، وكذلك رفضه الأشياء والأسماء والمسميات في انتاج العلامة اللغوية.

لذلك قام سوسير ببناء علم اللغة وفق نسقٍ معرفيٍ مجرد وهذا النسق ليس بخارج عن التصور العلمي السائد في عصره ومهمة النسق العزل والتنظيم والشمول والاستقلال فهو يسير بالنسق كما يسير العلم الحديث الذي يرى أنّ((نسق العلم يشتمل على جميع الظواهر الكونية ما عدا الانسان)) (محمد عبد الرحمن جابري، 2010، 311).

وعزل اللغة عن الإنسان يمثل مرحلةً معرفيةً منهجيةً في بناء اللسانيات وهذا ما دعا سوسير إلى القول بانّ القضايا الفسيولوجية والنفسية لا تمثل علم اللغة وليست هي من موضوعاته؛ لأنّ علمَ اللغة نظامٌ ونسقٌ مجردٌ عن الاعتبارات تلك، لكنّ التجريد وبناء الفرضيات لا يتمُّ إلّا عن طريق تلك الاعتبارات لذلك جعل اللّساني الشهير (هلمسلاف) دراسة اللغة وسيلةً لا غايةً، وسلة لبلوغ معرفة هي في ذاتها خارج اللغة وحينئذٍ تكون اللغة ((وسيلة لمعرفة متعالية(بالمعنى الأصلي والاشتقاقي لكلمة متعالية) وليست هدفاً لمعرفة محايثة)) (هلمسلاف، 2018، 20).

والتركيز على هدف اللغة في بناء النّظرية اللّسانية أمرٌ في غاية الاهمية؛ لأنّ جعل هدف اللغة غاية يؤدي إلى المحايثة وهو ما يعني قطع علاقة اللغة بالاشياء التي هي في ذاتها ليست لغة وإنّما نتائجها تكون مهمة في النّظرة اللّسانية كالوصف الفيزيائي للأصوات، والوصف النفسي للشخص، والتكوين البيولوجي في انتاج اللغة لذلك جعل اللّسانيات وسيلةً لبلوغ تلك المعرفة المجسدة في نظر هلمسلاف جزءاً في بناء اللّسانيات.

ولعل من نتائج عزل الإنسان عن انتاج اللغة التخندق بخندق اللغة في ذاتها ويؤدي ذلك إلى ثبات الفرضيات في علم اللسانيات وهذا ما أراده سوسير في منهجه الآني، إلّا أنّ سوسير أخذ الثبات من فلسفة العلم وطبقها على النظرية اللسانية في حين هناك اختلاف في وجهات النظر وتباينها بين الفلسفة واللّسانيات وهذا لم يلتفت إليه سوسير ربما.

والقول بمبدأ الثبات يؤدي إلى ما يسمى (قابلية التحقق) ضمن العالم الواقعي التي هي سمة جوهرية في العلوم الطبيعية وفي فلسفة العلم، فمن دون تحقق أو قابلية التحقق لا تكون القضية صادقةً وتلك التي ضمن نطاق قابلية التحقق تخضع لمبدأ آخر هو (المعطى الحسي) أو الخبرة في حين في اللسانيات الثبات يختلف عمّا هو في العلوم الطبيعية، فهو لا يخضع لقابلية التحقق ؛لأنّ اللّسانيات مجردة لا تقابل الأشياء ولا المسميات وكذلك تخضع للطبيعة السيكولوجية والوصف الفيزيائي وهذا ما ذكره سوسير في كتابه (محاضرات في علم اللسانيات).

وإذا كان التجرد مفصلاً محورياً في اللّسانيات فهو بمنزلة (الأفكار الموضوعية) والتي هي ليست مدركةً حسياً أي تجريدية، وبالتالي فإنّها لا تعد عنصراً في العالم الفيزيقي الخارجي (عصام زكريا جميل، 2012، 322).

لذلك نجد أنّنا على خلاف ما يراه سوسير في ثبات فرضيات اللسّانيات في لحظة عدها متجردة تعطي نتائج موضوعية قائمة على أساس عزل اللغة عن الكائن البشري، والاتجاه نحو الموضوعية العلمية من سماتها أنّها تكون مطلقةً وثابتة ولها قابلية التحقق في كل زمان ومكان؛ وذلك لأنّ التصورات الذهنية لا تخضع لقاعدة كلية ثابتة بل متغيرة بحسب عوامل مهمة تؤدي إلى جسدنة العقل فيها، وهذه العوامل:

1- العامل الوراثي 2- البيئي 3- السايكلوجي

وتعد هذه العوامل نقضٌ لفكرة الثبات للتصورات الذهنية للأسماء والاشياء والموضوعات اللغوية، فالتصور الذهني أو قل (الوجود الذهني) وإن كان ثابتاً عند البشر كله ألّا بناء المفاهيم فيه متباينة من شخص لآخر

2- التصور الثاني لجسدنة العقل عند سوسير هو تصوره للعلامة اللغوية والتي قابل فيها الصورة السمعية (الصوتية) والفكرة (الذهن)، وعلى الرغم من ميول سوسير نحو التجرد في فهم تلك العلاقة إلّا أنّه يفهم من كلامه ما يدل على جسدنة العقل في فهم العلامة وإن كان هناك اضطراب في فهم سوسير لتلك العملية إلّا أنّنا نفهم من نص ذكره في المحاضرات وهو يتحدث عن الصورة السمعية إذ يقول ((فالصورة السمعية إذن ناتجة عن أعضائنا وقدراتنا الحسّيّة)) (سوسير، 2008، 104) فهذه الصورة أحد طرفي تكوين العلامة وهي بحسب هذا النص مادية؛ لأنها نابعةٌ عن المعطيات الحسية؛ لأنّ الحواس تنطلق من الأشياء الخارجية في تصورها لها وهو في مصطلح الفلسفة الماهية فهناك وجودان الوجود المادي والوجود الماهوي، ولعل سوسير لم يأخذ بذلك التصور الماهوي وهذا ما أوقعه في الاضطراب حينما عد العلامة اللغوية انّها لا تقابل الاشياء ولا المسميات (سوسير، 2008، 104) في حين نصعه آنف الذكر اكدأنّ الحواس هي من تؤلف الصورة السمعية،امّا الطّرف الثاني لتكوين العلامة وهو (الفكرة) فقد وضح سوسير بأنه مرتبطٌ بدماغنا عن طريق مبدأ التداعي (سوسير، 2008، 104).

ويكفي ذلك ما يوضح حالة الجسدنة حين عد العلامة اللغوية ومنها الفكرة مرتبطة بالدماغ وهذا هو السبيل الواضح في جسدنة العقل، إذ أصل المفاهيم عقلية لكن سوسير ربط ذلك بالدماغ وهو بذلك يساير المنهج القائل بالتفاعل بين المفاهيم والجسد، إذ الدماغ ما هو إلاّ تعبيرٌ عن الجسد كله وهو من باب تعبير الجزء عن الكل.

ومما يؤكد النزعة الجسدية للمعرفة اللغوية ما ذكره سوسير في كتابه (في جوهري اللغة) إذ يؤكدُ أنّ ((النزعة الثنائية تلك إنما تكمن في الثنائية القائمة بين الظاهرة الصوتية بوصفها كذلك والظاهرة الصوتية بوصفها علامة، أي القائمة بين واقعة فيزيائية (موضوعية) وواقعة فيزائية ذهنية (ذاتية)))(فرديناند دو سوسير، 2019،160).

جسدنة العقل في اللسانية الامريكية (الوصفية)

اتخذت اللّسانيات بُعْداً ومنحى مستمداً مبانيه من النظر الابستيمولوجي للمعرفة اللغوية، فلم تعد المصطلحات (القيمة ــ- التجرد) لها وقع من النّظر الابستيمولوجي لذلك المنهج؛ لأنّه جعل الإنسان جزءاً من فلسفته في تفسير ظاهرة اللّغة بعدما أُغْرق كثيراً في عزل اللغة عنه.

ولعل هذا الاتجاه مزج بين أمرين في تفسير اللغة

1- العقل 2- الكلام

ومن خلال هذين العنصرين استطاع تفسير ظاهرة اللغة وإن كان حضور مصطلح العقل قد يكون ضعيفاً في حضوره في انتاج هذه المدرسة، إلّا أنّ آثار العلة موجودٌ بالأصل فالمفاهيم هي نتاجات العقل أو الوجود الذهني باختلاف النّظر فيه.

واهتمام هذه المدرسة بـ(الكلام) شكّل قطيعةً معرفية لما قبله بعد استبعاده عن علم اللغة وهذا ما فعله سوسير على الأقل بما كتب في محاضراته.

وجعل الكلام عنصراً معرفياً في تفسير اللغة ينبئ عن شيءٍ آخر وهو تغيّر الكلام بحسب ظروف محيطة به، فالكلام ليس واحداً في انتاجه وهو ليس مثل القدرة اللغوية التي قد تكون لها صفةُ الشمول والعموم، وحينئذٍ تكون هناك أشياء تؤثر فيه من أمزجةٍ فكريةٍ أو نفسيةٍ.

لذلك انبرى سابير - وهو من أعمدة علم اللغة الوصفي في أمريكا- إلى فهم اللّغة عن طريق فهم الكلام، فالكلامُ وظيفةٌ اجتماعيةٌ مما يمكن أن نألفه في

حياتنا اليومية ومن خلال اهتمامه بالكلام يمكن لنا فهم موضوع التجسيد عنده فقد عرّف الكلام بأنّه ((نظام شديد التركيب وشبكة دائمة الحركة يتكون من التعديلات في المخ والجهاز العصبي وأعضاء النطق والسمع التي ترمي إلى الغاية المنشودة وهي التبليغ))(إدوارد سابير، 20،1995-21).

وعلى الرغم من ذكر سابير (العقل) في مواضع من كتابه منها اصطلاح (العقل المدرك)(إدوارد سابير، 17،1995-26-54) وغيرها إلّا أنّ فهم العقل لديه مقيد بمقيدات يمكن تسميتها بـ(أدوات فهم التجسيد) ومن تلك الأدوات:

1- الجهاز العصبي، وذكر سابير هذا المصطلح مسايرة للفهم الشائع بعد الثنائية الديكارتية وهذا الفهم قائم على أساس التفاعل بين الجهاز العصبي وما ينتجه الانسان، فالعقل لديهم يختلط بمفاهيم أخرى مثل (المخ) أو (الدماغ) ويسميها العلماء (اطروحة التطابق النفسي الجسدي) التي تؤكد بشكل جازم اختزال الحالات العقلية في الحالات الدماغية وذلك وفقاً لما تؤكده الاسكشافات العلمية(ريبول، 2023، 77).

2- أعضاء النطق: وهذا يؤكد على اهتمامه بالجانب الفسيلوجي في فهم اللّغة، فتلك الأعضاء لها مدخلية في انتاج الكلام لا اللغةِ وهذا ربما لم يكن غائباً عن سابير؛ لأنّ فهم اللغة لديه ينبع من فهم الكلامِ لا انتاجه، إذ يؤكد سابير على أنّ ((الكلام فيسيوولوجيا وظيفة مركبة أو هو في عبارة أوجز مجموع وظائف متماسكة))(إدوارد سابير، 1995، 21).

3- الأعمال الحركية (المركز الحركي، المركز البصري، المركز السمعي) وهذا ما أكده سابير إذ يرى أنّ اللغة ((تتكون من علاقة دلائلية متميزة علاقة فيزيولوجية اعتباطية بين جميع عناصر الوعي الممكنة من جهة وعدد من العناصر المختارة في مراكز السمع الحركية وغيرها من مراكز المخ والاعصاب من جهة أخرى))(إدوارد سابير، 1995، 22).

ووظيفة تلك الاعمال الحركية هو التفاعل الحاصل بين الوعي (العقل) وبين تجارب الانسان الت يتكّونه تلك الاعمال الحركية، فعن طريق البصر تنشأ عند المتكلم ما تسمى بـ(المرئيّات) وهذه البصريات تتفاعل مع العقل في انتاج اللغة أو الكلام وهذا هو التجسيد في حدّ ذاته، وكذلك السمعيات وهذه السمعيات يعدها سابير من أهم أقسام الكلام، فالصوت اللغوي لايمكن انتاجه فقط من خلال الدماغ بل يجب أن يجتمع مع عناصر الحركة كلها(إدوارد سابير، 1995، 21-22)

وهذا ما حدا بأحد أهمّ علماء المدرسة اللّسانية الامريكية وهو (بلومفيلد) ــ- الذي تأثر بالمنهج السلوكي واستثماره وتوظيفه في تفسير ظاهرة اللغة ــ- أن يعرّف الشكل اللغوي بأنّه ((الموقف الذي ينطق فيه المتكلم هذا الشكل وردّ الفعل الذي يستثيره في السامع))(Bloomfield, 1933,p.139)

عبارة (الموقف الكلامي) لم يكن مجرد كلامٍ عابرٍ لا يتضمن محتوى معرفي، بل هو مصطلح ابستيمولوجي يعبّر عن الذات الانسانية وما يستثيره في نفسه من خلجاتٍ نفسية تؤدي إلى تكوين الموقف الكلامي.

وعلى الرغم من استبعاد العقل أو بتعبيرٍ أدق (الوعي الإنساني) بما هو مصطلح تقني لا بعموم دلالته إلّا أنّ ملامح الجسدنة تبدو واضحة عند بلومفيلد فيما يتعلق باللغة فقط ويمكن أن نطلق مصطلح (جسدنة اللغة) بحسب ما يُفهم من كلام بلومفيلد، إلّا أنّنا قد لا نتفقُ مع ما يذهب إليه بلومفيلد في استبعاد الوعي الإنساني في انتاج اللغة؛ لأنّ الموقف الكلامي يتحدد محددات معيّنة وهي

1- الفعل وردّ الفعل لا يستثار من دون اشارة عصبية.

2- انتاج الموقف الكلامي يلزم نسقاً كلامياً معيناً وهذا لا يحدث من دون تدخل العقل في اتخاذ هذا الشكل اللغوي.

3- في بعض المواقف الكلامية يتردد المتكلم في اتخاذ شكل استجابته للمثير وهذا لا يحدث من دون تفكّر وعقل ووعي.

إلا اننا قد نفهم خلاف ما ذُكر فاستبعاد العقل له ما يبرره عند بلومفيلد فهو يرى أنّ اللغة سلوكٌ وهو ما يكون قابلاً للملاحظة، فالمعيار عنده قَبول الشيء للملاحظة تبعاً لما يراه السلوكيون غير أنّ القدرات العقلية ليست قابلة للملاحظة لذلك تم استبعاد ها في دراسة اللغة(برجيته بارتشت، 2004، 206)، ولكن يبقى السؤال هل اللغة سلوك؟.

ومعيار الملاحظة وإن كان ثمة اختلاف في فهمه ولعل في قبوله اصلاً إلّا أنه من المعايير الرئيسة للمذهب التجريبي، فالتجربة قائمة على أساس ملاحظة الأشياء ويختلف مجال اشتغاله بين العلوم الطبيعية والانسانية.

وإذا كانت الملاحظة قائمة على ملاحظة الاشياء وهي الوجودات الخارجية، فهل اللغة شيءٌ خارجي؟ والشيء الخارجي مشخّص بآثاره لا في ذاته واللغة ليست كذلك.

وتبدو ملامح جسدنة العقل عند بلومفيلد واضحة حينما عدّ اللغة سلوكا قابلاً للملاحظة وكذلك ما ذكره بشأن (الموقف الكلامي) وما يستلزم أن تكون خلجات النّفس في حالة الظهور متفاعلة مع العقل أو قل التفكير في انتاج ذلك الموقف الذي يتضمن مثيراً واستجابةً وهذا بحدّ ذاته جسدنة العقل تبعا للمذهب التفاعلي بين الجسم والعقل والقائل ((أن العقل يتطابق مع الجسم الفسيولوجي للكائن البيولوجي الذي يمتلكه أو يستضيفه العقل هو هذا الجسم)) (Brandt, 2019,p.22).

ولعل استقلال العقل عن الموقف الكلامي يؤدي إلى نتيجة وهي إحداث الاشياء والافعال من دون الحاجة إلى مثيرات واستجاباتٍ، لذلك أرى أنّ جسدنة العقل أقرب إلى مبادئ السلوكية وإن كان رفض الحالات العقلية في النّظرية السلوكية لا سيما سلوكية بلومفيلد لم يكن شاملاً للحالات العقلية كلها، بل يرتبط ذلك ببعضها مثل النوايا والرغبات التي لا تخضع للسلوك، أمّا الامور العصبية الدماغية فهي من مضمّنات المذهب السلوكي الذي يرى أنّ السلوكية ((

بصفةٍ عامةٍ هي وجهة النّظر القائلة إنّ كل ما يعرف أو يقال عن الحالات العقلية للناس يمكن معرفته أو قوله في حدود سلوكهم القابل للملاحظة))(صلاح اسماعيل، 80،2025).

الخاتمة:

1- جسدنة العقل تبدو واضحةً في نصوص سوسير وغيره على الرغم من عدم وجود هذا المصطلح في كتبهم بشكل صريح، إلّا أنّ وجود الفهم التجسيدي واضحاً وبادياً بشكل جلي.

2- اختلاط المفاهيم بشكل واضح في اللّسانيات البنيوية لا سيما فيما يتعلق بـ(العقل) فتارة يعبّر عنه بـ(المخ) أو (الدماغ) أو (النفس) وهذا الخلط يؤدي إلى نتائج غير مرجوة في فهم اللغة وتكون دراستهم صورية ومن جانبٍ واحدٍ تستبعد بعض المفاهيم المهمة في فهمٍ أوسع للغة

3- فهم اللغة على أنّها سلوكٌ تماشياً مع المنهج السلوكي للغة فيه نظر، فالكلام لم يكن قائماً على أساس التشارط؛ لأنه ليس هناك تداعٍ بين السلوك والكلام أو قل بين المثير والكلام فقد يحدث الكلام من دون حاجةٍ إلى مثير.

4- القول بجسدنة اللغة لم يكن ببعيد عن تهافتٍ وقع فيه اللّسانيون بشكل عام واللّسانيات البنيوية بشكل خاص، إذ القول به ينفي الصفة الكلية والشمولية التي اتسمت بها تلك اللسانيات، فالكليات من الامور الاعتبارية التي لا دخل لجسدنة العقل في انتاجها، فالدماغ أو مراكز الحركة المادية لا يمكن أن تنتج مفاهيم مجردة فالمادي لا يمكن في حدّ ذاته ينجز أموراً اعتبارية وتحليلية.

5- نقترح فهماً آخر لجسدنة العقل وهو (عقلنة الجسد) وهو ما يتمثل بالوجود الذهني المستقل عن الجسد.

المصادر:

Bloomfield, L. (1933). *Language*. New York: Holt, Rinehart & Winston.

Brandt, P. A. (2019). *Cognitive Semiotics*. Bloomsbury Academic. doi: 10.5040/9781350143333

Evans, V., & Green, M. (2018). *Congnitive Linguistics an Introduction*. Routledge. doi: 10.4324/9781315864327

Johnson, M. (2007). *The Meaning of the Body*. University of Chicago Press. doi: 10.7208/chicago/9780226026992.001.0001

أوستن، ج. ل. (2020). الحواس والمحسوس، ترجمة طلال وهبة (ط 1). هيئة البحرين للثقافة والأثار.

إدوارد سابير. (1995). اللغة مقدمة في دراسة الكلام، ترجمة المنصف عاشور (ط 1). الدار العربية للكتاب.

برجيته بارتشت. (2004). مناهج اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد بحيري (1st ed.). مؤسسة المختار.

تشارلز فيرست. (1987). الدماغ والفكر، ترجمة محمود سيد رصاص، (ط 1). دار المعرفة.

تشومسكي.، ن. (1990). اللغة ومشكلات المعرفة ترجمة حمزة بن قبلان المزيني (ط 1). الدار البيضاء دار توبقال.

جورج لا يكوف جونسون. (2016). الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة (ط 1). دار الكتاب الجديد.

جوناثان كلر. (2000). فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ترجمة عز الدين اسماعيل، (ط 1). المكتبة الاكاديمية.

حمودة، ع. ا. (1997). المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك (عالم المعر). عالم المعرفة.

ريبول، ي. (2023). من العقل إلى الدماغ، ترجمة محمد أحمد طجو (1st ed.). المنظمة العربية للترجمة.

سوسير. (2008). محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني. افريقيا الشرق.
صلاح اسماعيل. (2025). فلسفة العقل (ط 1). نماء للبحوث والدراسات، مصر.
عبده الراجحي. (1979). النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج. دار النهضة.
عصام زكريا جميل. (2012). اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة (ط1). دار المسيرة.
فرديناند دو سوسير. (2019). في جوهري اللغة، تحقيق سيمون بوكي ورودلف أنغلر ،ترجمة مختار زوازي (ط 1.(
كلارك، س. (2015). أسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، ترجمة سعيد العليمي (ط 1). المركز القومي للترجمة.
محمد عبد الرحمن جابري. (2010). نظرية العلامات عند جماعة فينا رودلوف كارناب نموذجا دراسة وتحليل، (1.(st ed. دار الكتاب الجديد.
نعوم تشومسكي. (2015). آفاق جديدة في دراسة اللّغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني (ط 2). المركز القومي للترجمة (مصر.(
هلمسلاف، ل. (2018). مداخل لنظرية اللغة، ترجمة يوسف إسكندر (ط 1). دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.
هيلاري بتنام. (2012). العقل والصدق والتأريخ، ترجمة حيدر حاج اسماعيل (ط 1). مركز دراسات الوحدة.